TRANSLATION WATCH©

Volume 9, Issue 2, November 2009

حـــلّ جـــديدة وغبـــاء قـــديم
قصة اللغة والترجمة في الفضائيات العربية

بقلم علي درويش

٢ نوفمبر ٢٠٠٩

وهل يغير النمر رقطه؟

راج في السنوات الأخيرة شرابٌ منعش جديد في أستراليا يحتوي على منشطات حرارية يزود شاربيه بالطاقة والحيوية. ويبدو أن إحدى الفضائيات قد وزعت هذا الشراب على مذيعاتها ومذيعيها، ربما على شكل تحميلة، حتى راحوا يصرخون ويزعقون في تقديم برامجهم الجديدة التي اكتست حلة جديدة. فيكاد المشاهد المسكين يصاب بنوبة قلبية هلعًا وذعرًا وقلقا، فلا يعرف ما إذا كانت كارثة قد حلت به أو بهم أم أن الساعة قد قامت ونحن نشاهد تلك الفضائيات العربية الغبية المعربدة. وإذ تطل علينا إحدى الفضائيات بحلة جديدة يبقى الغباء كما هو بل يشتد ويزمن! ففي مسلسلاتهم الهزلية التي ما فتئت تظهر حماقاتهم اللغوية والمنطقية وتخلفهم الفكري والمهني، وتعلقهم بالخواجة، نسمعهم يقولون إن الحكومة الأسترالية تشن حملة على الجِمال لخفض أعدادها "بحجة" خطرها على البيئة. ولطالما كان الجمل رمزًا في الغرب للعرب وأداة لتحقيرهم، حتى رحنا نحاول في مغتربنا تجميل صورة هذا الحيوان النبيل، سفينة الصحراء. وإذا بتلك الفضائية تتبنى نظرية المؤامرة فتتهم في حيادها المهني الرفيع الحكومة الأسترالية بشن حملة إبادة

Copyright © 2009 Ali Darwish.
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

جماعية للجمال البرية التي تتزايد أعدادها على نحو يهدد البيئة فعلاً. ولم نجد تلك الفضائية تغمز في قناة الحكومة ذاتها عندما شنت حملة "إبادة" على حيوان الكنغر، كما تفعل بين الفينة والأخرى.

ولا شك أنها نقلة نوعية من الحجم المتواضع إلى الإخراج المسرحي الذي يفوق إخراج الفيلم (بن هر) و(بنت قط) فتجد بنات شهر وقد تحولن إلى عارضات أزياء يرتدين ثيابا تطعم أسعارها جياع الأحياء المجاورة، ولكنها لا تستر حياءهن الذي طلقنه من زمان، فيستعرضن مفاتنهن بسراويل ضيقة تكاد تكشف ما يخفينه من معالم وتضاريس ونتوءات حادة، فتجدهن يتمايلن ويقفن في نهاية الفقرة برهة يستمتعن ويتلذذن ويستجممن بتلك اللحظة اللامعة من حياتهن السخيفة. أهلا وسهلا بكم في هوليود العرب، أو (عربود)!

ولا ندري ما إذا كانت معاشرتهن لبعضٍ من زملائهن هي السبب في اختلاف تلفظهن لبعض المفردات العربية وقد ارتدت تلك الفضائية حلة جديدة أم هي بسبب نصح أحد الخواجات الأجانب لهن فرحن يأتمرن بما أمر. فها نحن نسمعهن تحديدا يقلن (تستَمرِ) بدلا من (تستمرُّ) وما شابه ذلك من تخفيف للشدة في آخر الكلمة وتشديد المقطع ما قبل الأخير على طريقة تلفظ الكلمات ذات المقاطع المتعددة في الإنجليزية. أو لعله سببٌ مضاعفٌ هنا، لا ندري. كلّ ما في الأمر أن هذه الطريقة في التلفظ تظهر تخلفا لغويا وجهلا وأمية. فتَسْتَمرِّ بتشديد الراء ليست تَسْتَمرُ، بمعنى الاستمارة.

ومن يحاول الوقوف على مكامن الخلل ومواضع العلل في كلام المثقفين المعاصرين العرب يكتشف ظاهرة غريبة تدل على أمية وجهل وغباء. فها نحن نسمع أحدهم يقول (أحزاب ليست سوى أذيال تقتات على فتات الحزب الحاكم)، دون أدنى تردد. فالإعجاز في مجاز المثقفين العرب المعاصرين، ومنهم تلك الثلة المتخلفة في تلك الفضائية الطاووسية، يظهر الخلل الضارب في منطقهم والغباء المهيمن على إبداعهم فتجدهم في "حالة إبداع" يصورن الأذيال تقتات على الفتات. ولكن بالله عليكم أين

Copyright © 2009 Ali Darwish.
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

وجه الشبه والمقاربة بين الحزب التابع الذليل والذيل؟ هل لي من يدلني على ذيل يأكل ويقتات؟ فالمجاز هو عقد شبه بين ما هو حقيقي (حمار ينهق ، مثلا) وما هو مجاز غير حقيقي (إعلامي ينهق)، على التشبيه في خاصة من الخواص التي يشترك فيها الاثنان، مع وجود قرينة أو دليل مانع لاستحالة وجود إعلامي ينهق فعلا، إلا إذا كانوا يوظفون الحمير في تلك الفضائية. ولعل ذلك ليس بالأمر المستحيل أو العسير على ما نرى من نماذجهم الإبداعية والعبقرية.

وفي حرصهم على صورتهم وتجميلها تجدهم وقد أصبحوا أصدقاء للبيئة، فتبلغ حماقتهم ذروتها عندما يصفون التلوث البيئي، فتجد أدمغتهم الملوثة الفاسدة لا تستطيع فهم أبسط التعابير الإنجليزية وأسخفها، فتسمعهم يقولون بكل حماقة وغباء كتلك المذيعة اللثغاء، والحرير لها والخيش لي ولكم، (ثيارات ثديكة للبيئة)، بل (سيارات صديقة للبيئة) أي (environment friendly cars)، فلا يرون بحماقتهم وجهلهم وغبائهم إلا معنى (صديق) في (friendly)، على طريقة شرفنطح البليد! ويغيب عن بالهم بل تصيبهم البلادة فلا يعرفون مؤاتٍ وملائم ومناسب ومنسجم وموافق وغير مضر أو غير مؤذٍ، كأنْ يقولوا: (سيارات مؤاتية أو ملائمة للبيئة). ولكنها بيئة مغرية، غانية، أو فاتنة تكشف عن مفاتنها لكي يكون لها أصدقاء يلهثون وراءها. والصديق تعريفاً هو الصّاحب المخلص الصادق الوُدِّ. قال أبو تراب: لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته. فكيف تحفظ السيارات البيئة في نكبتها وغيبتها ووفاتها؟ ولكن الجهل والحماقة والغباء تسيطر على عقولهم وقلوبهم فلا يميزون القرائن المانعة عن القرائن غير المانعة، وأن ما يستوي مجازًا في لغة لا يستوي في لغة أخرى. ولعمرك لو بحثت عنها في جوجل لوجدت ما يزيد عن ٣٤ ألف غبي وأحمق وأمّي يكرر (سيارات صديقة للبيئة)، في زمن الزواج فرند، ورضاعة الخلوة وإرضاع الزميل ذي الإزميل والتحميل الحلال! فلعل السيارات تتزوج أو تصاحب البيئة وتنجب لها أولادًا نجباء كالإعلاميين العرب! متى استهزأتم بالإعلاميين وقد ولدتهم أمهاتهم بلا أدمغة؟ ولكنها تلك الجينات الوراثية اللعينة هي المسؤولة! أفتعجب يا صاحبي من شدة التوبيخ والتأنيب؟ ولكن من قال إن الحروف ساكنة؟ بل هي تنتح حماقة وغباء وجهلا!

Copyright © 2009 Ali Darwish.
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

وتجدهم في عقدهم النفسية يخلطون بين الفصاحة والبلاغة من جهة والتقعر من جهة أخرى. فأي خروج عن الحرفية المطلقة وتتبع الكلام حرفا حرفا، سواء أكان ذلك بما يفيد المعنى المقصود أم لا يفيده، فهو في نظرهم الضعيف وعقولهم الهزيلة المريضة والمتخلفة تقعر وجمود وتخلف. وكيف لا؟ فها أنت تسمع إحداهن تقول لنا: فلان انتحل هوية مزورة! بالله عليكم دعونا نتأملِ في هذه العبقرية الجبارة في نقل المعاني بدقة وأمانة وإخلاص. انتحل يَنْتَحِلُ الشيءَ انتحالاً: ادَّعاه لنفسه. فكيف يدعي فلان لنفسه هوية مزورة؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن السلطات سوف تقبض عليه لابسا ومتلبسا هوية مزورة لأن هويةَ من انتحل هويتَه مزورةٌ! فلا بد لهذا المنتحل أن يكون أخرقَ أو مختلاً عقليًا في الأصل لكي ينتحل شخصية مزورة في الأصل ويعرض نفسه للاعتقال. فهل الهوية المزورة هي لشخص موجود ومسجل في الدوائر الحكومية، أم هي هوية مختلقة لا توجد في سجلات الأحياء والأموات؟ كأن يتخذ أحدهم هوية (مصطفى الزبرأوتي)! ولكنك لو تحريت مصادر الخلل لوقفت على التعبير الإنجليزي: (assume a false identity). فترجموا بغبائهم (assume) بـ (انتحل)، كما أدرجها المورد وغيره في جملة ما أدرجه من معانٍ، ونسوا أو لم يدركوا بعقولهم المحدودة أن بقية الجملة لا تتلازم ولا تتوافق ولا يستوي معناها مع (انتحل). ولكنهم: (دُفنوا وهم مجهولو الهوية)! أو هكذا يخبرنا أحد الأصوات في فيلم وثائقي عن المهاجرين غير الشرعيين الذين يلقون حتفهم في البحر. فهم يُدفنون وهم مجهولو الهوية، ثم تُكتشف هويتهم بعد دفنهم! وهذه مشكلة أخرى عند المترجمين العرب الذين يخفقون في الصيغة الزمنية والحالية والظرفية. بل هم دفنوا مجهولي الهوية! ألا يظهر هذا عجزهم اللغوي وعدم تمكنهم من النحو فيلجأون إلى أساليب التجنب والمراوغة؟

ولا شك أن تحصيل المعرفة يتألف من ثلاث مراحل أساسية هي التلقي والتقليد والإبداع. ويتخلل التقليد مرحلة توليف للمعرفة حتى يتمكن المتعلم من الانتقال من التقليد إلى الإبداع. ولكن النخب العربية في أي مجال، لا سيما (عفوا، عليك أن تسقط لا من لا سيما، فقد راقت لهم سيما، تسهيلا في عقولهم للفظ) في الإعلام المغرور، تجدها تتوقف عند التقليد وتستمر مرحلته دون توليف أو تأليف، إلى أبد

Copyright © 2009 Ali Darwish.
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

الآبدين، آمين. ولكنّ جيناتهم الوراثية مسؤولة عن مرضهم النفسي! أو هكذا يتشدقون بلا وعي ولا انتباه. فلقد اكتشفت باحثة بريطانية جينات وراثية مسؤولة عن مرض الزهايمر (أي الزُهام، على زنة جُذام). وقد رأوا اللفظ الإنجليزي (responsible) فترجموه بحرفية الغبي إلى (مسؤول) في أي سياق وكل سياق. فإذا شاء أهل اللغة الإنجليزية التشخيص أو الاستعارة باستخدام (responsible) وجب على أولئك الحمقى السجود لربهم الإنجليزي ونقلها باللفظ العربي (مسؤول). ولكن المسؤولين في تلك البلاد المظلمة لا يُسألون ولا يُساءلون، فإذا بهم يلجأون إلى أضعف الإيمان فيحمّلون الجينات الوراثية مسؤولية أمراضهم النفسية. ولا نعرف مدى تلك المسؤولية التي يحملونها الجينات الوراثية المسكينة، ولا ندري ما هي تبعاتها. ولم يعد عندهم سبب ونتيجة.

> An international effort led by scientists at the University of Toronto, Columbia University and Boston University has isolated another gene responsible for Alzheimer's disease.

فإذا كانت الجينات مسؤولة عن المرض، أفيعني ذلك أنها تتسبب فيه؟ علّقوا حبلَ المشنقة، واشنقوا تلك الجينات من دبرها. فهي مسؤولة عن المرض! وكما قال أحدهم في تعليقه على ما فعله الرئيس الأميركي الأسبق بيل كلينتون مع مونيكا لونسكي: مذنب ولكنه غير مسؤول (guilty but not responsible)! والله لا نريد سوى التأكد من كلامكم حتى نتعلم منكم. لاحظوا ما جاء في المعاجم من تعريف للفظ (مسؤول). كلها تدل على إنسان عاقل مكلف! فكيف يكون تكليف جينات وراثية غير عاقلة؟ أم أن فيها من العقل ما يفوق ويبز ما في أولئك العضاريط من عقل ودماغ؟

ولقد أفاق العالم العربي فجأة على مشكلات المناخ والبيئة وأثر التلوث في حياة البشر في تلك المنطقة التي شاء القيمون عليها أن يثقلوا كاهلها بسياسات تفتقر إلى التخطيط الاستراتيجي الرشيد على مدى عقود وعقود؛ حتى جاءهم الخبير الخواجه يهديهم سواء السبيل. ومازال الإعلام العربي وجموع غفيرة من المثقفين والأخصائيين الأغبياء يكررون في كل نشرة ولقاء وتقرير هذا التعبير الجديد (صديق للبيئة). فهي

Copyright © 2009 Ali Darwish.
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

سيارات صديقة للبيئة ومصادر للطاقة صديقة للبيئة وبيوت صديقة للبيئة ونفايات صديقة للبيئة، وغيرها مما أصبح صديقا للبيئة، حتى يخال العاقل أن خللا قد أصاب أجهزة التفكير في عقولهم الهزيلة وتعطلت مرشحات التنظيف فيها حتى راحوا جميعا يكررون كالببغاوات الحمقاء ودون أدنى تردد هذا التعبير الجديد الهزيل الذي لا يدل إلا على ضحالة فكرهم واستلابهم وغبائهم. ولم لا؟ فهي ترجمة حرفية مطلقة للتعبير الإنجليزي (environment friendly). ولم يروا في كلمة (friendly) سوى (الصداقة) و(الود). فهم في غبائهم المطلق لا يرون في تلك اللغة الإنجليزية اللعينة المعاني الوظيفية المتعددة للفظ الواحد. فإذا بهم كالحمار الذي يحمل أسفارا ويساق في سكة حديدية لا يحيد يمينا أو يسارا عن تتبع المسار الحرفي في إدراكه للمعاني في اللغة الإنجليزية. والحق أيها الأغبياء أن كلمة (friendly) في هذا السياق تعني كما قلنا ملائم ومؤات ومناسب وملائم، ولا علاقة لها بالصداقة.

قبل الالتفات إلى التلوث البيئي في الإعلام العربي لا بد لهؤلاء العضاريط أن ينظفوا اللغة من تلوثاتهم وأوساخهم وقاذوراتهم التي يقذفون بها إلينا كلما رغبنا في الاستماع إلى برامجهم، في تعابير ومفردات مستوردة حرفيا من اللغة الإنجليزية. فمازلنا نسمع سفسطاتهم التي تدل على منطقهم الهزيل وإدراكهم الكليل للمعاني والمفردات والتعابير ومدلولاتها وإشاراتها. فإن خرج أحدهم عن ذلك النهج الحرفي المقيت سارعوا إلى نفيه أو إقصائه عن منابر التعبير "الحر".

قال البلبلُ للغرابِ:
"قد ضاق صدري بأترابي
علام أشدو في صداحٍ
قد ضج روضي بالترابِ
لم يعد في الجو صفوٌ
ولا في الزهر حلوُ الشرابِ
كلما غنيتُ لحنا جاءني
باللؤم من يهوى عتابي"

Copyright © 2009 Ali Darwish.
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

فأجابه في الأيكِ غرابٌ
ناعقًا نعقَ الخَرابِ:
"علام تشكو من عتابٍ
والناس في الصدقِ تحابي
من كان يصبو في دنوٍ
قد صار في المجد يرابي
كم بلبلٍ أضحى غرابا صدفةً
وكم غرابٍ صار نسرًا لأسبابِ
كلُّ الطيورِ لها فننٌ إذا
كانت طيورا كأسرابي"

فأجابه في البعد بومٌ قائلا:
"اليوم يا بلبل زاد اكترابي
علام تشكو للغرابِ؟
من يلحقِ الغربانَ يحظ بالخرابِ"

ولا يتوقف الأمر عند هذا النوع من الغباء، بل نسمعهم ونرى عناوين برامجهم الأكثر مجونًا وعربدةً فكرية ولغوية، رغم التبرج والزهو، كذاك البرنامج المعنون (ذاكرة غير قابلة للنسيان). ويكررونها كالطواويس والببغاوات الغبية بأصوات ضخمة ومضخمة كل مرة، وفي كل مرة لا يستشعر الواحد من هؤلاء العباقرة الخلل الضارب في هذا التعبير الأخرق. وكما جاء في لسان العرب، لا لسان الأعاجم، فإن الذَّاكِرَةَ قُوَّةٌ في الدماغ تذكر ما تدركه القوّة الوهميّة من المعاني وتحفظها، ولذلك سُمِّيَتْ بالحافظة. أي أنها هي الفاعلة لفعل التذكر، فكيف تكون "غير قابلة للنسيان". والنسيان مصدر معناه فقدان ذكر الشيء. بل هي ذاكرة لا تنسى، أو إن شئت الالتصاق بالشكل الأصلي، ذاكرة لا يمكنها النسيان! وشاع عند العرب المعاصرين المستلبين التعبيران (فقدان الذاكرة) و(فقد ذاكرته) المترجمان عن الإنجليزية (memory loss) و(lost his memory) تباعا. نعم، فقد جاء من اقتلعها من جماجمهم الناشفة، ففقدوها! وإن أردنا له مبررا، كأن يكون مجازا مقلوبًا، فلا نستطيع تبرير (ذاكرة غير قابلة للنسيان) بأي شكل من أشكال التحليل والتعليل المنطقي والبلاغي.

Copyright © 2009 Ali Darwish.
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

إنّ النسيان مصدر مطلق. والشيء لا ينسى نفسه. بل هناك فاعل ينساه. فكيف يمكن للذاكرة الحافظة لما يُذكر أن تنسى نفسها. قد يصيبها تلف عضوي أو وظيفي في الدماغ، كأن يصاب المذيعون بضربة على الرأس أو بالغرور المجبول بالجهل والحماقة! ولكنهم بالطبع ترجموها عن الإنجليزية (unforgettable memory) بحرفية الجاهل، وجهل المنحرف، فخلطوا في تحجرهم وتصلبهم وجهلهم بين الذاكرة والذكرى. ومن يبحثْ عن العبارة الإنجليزية في الانترنت ويجوجلها ليتأكد من معناها يقعْ على لوحة رسمتها امرأة لفرجها ووضعت عليه وردة حمراء والعبارة الإنجليزية (unforgettable memory). رجاءً أكملوا المقالة قبل أن تسارعوا إلى البحث عنها.[١] فإن دلّ هذا على شيء فإنه لا يدل على جمال ما عرضته فقط بل على معنى (memory) في العبارة الإنجليزية، ويبرز دون أدنى شكٍ خطأ أولئك العضاريط في الإعلام العربي الغبي، كذاك الذي يمضي تاركا وراءه الأرض والذكريات في موعد في المهجر على أنغام الموسيقى المخملية، فيتساءل المرء كيف يترك المهاجر الذكريات؟ ألا يحملها معه لتذكّره بما ترك خلفه؟ حقًا، إنها معضلة منطقية تستحق جائزة عالمية للآداب! ولكنْ يبدو أنك إذا ضخمت صوتك أخفيت كل العيوب، أو هكذا يظنون! ففي الضّخامة فخامة، حتى يرى البعير سنامه!

ورغم الحلل الجديدة كل عام يبقى الغباء في الفضاء العربي مرضًا مزمنًا.

محفوظة جميع الحقوق
جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

الحواشي

---

[١] كان بإمكاننا أن نضعها في المقالة، ولكننا رأينا أن نحافظ على الطابع العام للمقالة. وسنترك لك أيها القارئ الحريص الغوص في الانترنت بحثا عنها.

Copyright © 2009 Ali Darwish.
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.